

بعض ما نحب وما نكره

الأستاذ حسين الظريفي

لكل منا ما يحب وما يكره من الأشياء والأشخاص لغير
علة ظاهرة لديه . وقد تمتلئ النفس بهذا الشعور إلى حد يبعث فيها
الرغبة بالبحث عن العلة ، فلا يكاد يجد لها وجهاً تحمل عليه ،
ويظل يحمل في طيات نفسه ما تنفعل به من الحب أو الكره لهذا
أو ذاك ، وهو في حيرة من أمر ما يملك عليه وعيه وما وراء
وعيه من دقائق الشعور .

ولا يقف الشعور عند حد امتلاء النفس به ، وإنما قد يفيض
على اللسان ويظهر بأعمال الجوارح ، فتندفع بقواه المجهولة ،
إلى استحسان أو استهجان ما لولاه لما بدا لنا رأى فيه . وقد
نصدع أو ندع لمجرد إشباع تلك العاطفة العمياء ، فتحدث لنا من
الشاكل ما نحن في غنى عنه

ويظل أحدنا طول الحياة ، وهو رهين حبه لهذا أو كرهه
لذاك ، وما حبه وكرهه إلا وليد نظرة عابرة ، هي أجدر بأن تولد
وتموت ولا تمقب . وقد يحاول الخلاص من هذا الشعور الخاص
ولا يجد السبيل إليه

وقد يكون لهذا الشعور من الأثر في سلوكنا ما نظل رازحين
تحت أعبائه مدى الحياة ، قسموه علاقتنا بهذا ، لا شيء إلا لأن
أول نظرة ألقيت عليه كانت وحيًا بالنفحة منه . وقد يكون من
الخير لنا أن نصل به ما انقطع ، ولكن ذلك الشعور الغامض
يأبى إلا أن يرى الشر فيه ، وقد تكثر مظاهر هذا الشعور
في ناحيتيه الإيجابية والسلبية ، فتزداد به متاعبنا في الحياة ، وزيد
الخلاص ولات حين خلاص . ذلك لأن فيما وراء هذا الشعور
باعتنا تطاول عليه الزمن وعماه من الذاكرة ، ولكنه بقي حياً
فيما وراء الوحي ، ولا يكاد يجد فرصة الظهور حتى ينساب إلى مجرى
الشعور ويوقع أثره الخاص .

ويختلج أولئك الذين يملكون هذا الانفعال بفعل الغريزة ،

فليس في الأمر شيء مما يتصل بالفطرة ، وإنما هو من فعل التجارب
الماضية . تلك التي حدثت لنا في فجر الحياة فأحدثت في نفوسنا
هذا الانبساط أو الانقباض . ثم جلتها الزمن برداء الصفاء من
ساحة العقل الشاعر فأنحدت إلى ما وراءه واستقرت في قاع
العقل الباطن حية فتية ولكنها لا تهز النفس إلا بيد ذات قفاز ،
ولا تظهر إلا بوجه مستعار . وذلك هو موضع الخطأ الذي وقع فيه
أولئك الذين قالوا بأن هذا الحب أو الكره وليد الفطرة أو الغريزة
وأنه لا يمكن أن يبلل بشيء آخر

ولا ريب في أن تجارب الماضي من الكثرة بحيث لا يمكن
أن تمتد أو تمتد ، وهي بالقياس إلى هذه الكثرة تحدث في نفوسنا
مظاهر الانفعال بالسرور أو خلافة ، ما قد يكون له الأثر البالغ
في أسلوب تفكيرنا وفي اتجاه إرادتنا في الحياة . غير أننا مما لا ريب
فيه أيضاً لا تقتصر في نفوسنا على جذوة هذا الحب أو الكره
الذي يبعثه ما جوزينا به على تجاربنا الماضية من خير أو شر ،
فإن لنا من الحب ما هو ريب رقة ونصاف ، وما هو وليد تصافح
في المصالح ، وإن من الكره ما تنشئه تجربة غير ذات علاقة
بتجربة بعيدة

هناك أمر له خطره في تحليل هذه الظاهرة النفسية ، هو أن
عامل انبعاث هذه الظاهرة ، وأعني به الحدث الماضي الذي
ارتبطت به وانبعثت عنه ، قد يظل كامناً وراء حاجز من الزمن
فلا تمتد يد الذاكرة إليه ، ولكنه لا يندر أن يبعث أحدنا
في عامل هذا الشعور الغامض فيقع على مصدره في تجربة ماضية
شبيهة بهذه التجربة الجديدة ، ويرجع وملؤه الاقتناع بأن رابطة
التناظر كانت علة هذا الشعور الذي امتلأت به النفس بعد أول
نظرة ألقها العين . فإذا كان في الفعل بهذا الشعور الجديد المفاجيء
من قوة التذكر وبعد النفوذ إلى ما وراء الشعور ، ما يمكن به الوصول
إلى موضع التجربة الماضية من قاع النفس ، وأخرجها إلى عقله
الواعي ، فقد أمكن له التغلب على عاطفة حبه أو كرهه الموهجاء ،
واستطاع أن ينظر إلى الشيء بنظرة حرة مستقلة ، وأن يولييه
ما يستحقه من رغبة فيه أو ميل عنه . ويتحدد موقفنا الجديد

تلك هي العلة في أنا قد أحيينا هذا لأول لقاء ، وأنا قد كرهنا ذلك بعد أول نظرة ؛ فاذك الحب وهذا الكره إلا وليد تجربة سارة وأخرى غير سارة . فقد يكون وجه من أولنايه الحب شبيهاً بوجه رفيق لنا سبق أن أحييناه ، وكان هذا علة في هذا الحب الجديد . وقد يكون صوت من كرهناه مضارعاً لصوت صربية لنا غير محبوبة ، وكانت هذه المضاربة في الصوت باعثاً على نشوء كرهنا الحادث

إن في نفس كل منا كثيراً من التجارب السارة والمؤلة ، وهي تحدث في نفوسنا من الشاعر ما يتفق وإياها في جليل أو قليل ، فنحب ونكره لعوامل دقيقة في طيات النفس ، وقد تبقى في أكثر الأحيان غير معروفة ، ولكن ليس كل ما نحب وما نكره من هذا القبيل

محمّد الطريفي
الحامى

(بغداد)

الرسالة الأولى ليوثقار

بمتوان

النظريات العلوية في القرآن

فرغت الأنصار من طبع هذه الرسالة الجديدة التي وضعا الدكتور حين المراسلة ، وكتب لها مقدمة طريفة الدكتور علي توفيق شوشة بك وكيل وزارة الصحة ، وستصل نسخة من هذه الرسالة هدية إلى المشتركين في الأنصار عن السام المجرى للماضي ١٣٦٠ في خلال هذا الأسبوع .

إدارة البلديات — كهرباء

تقبل المعطيات بمجلس ملوى المحلى

لغاية ظهر يوم ٨ يوليو سنة ١٩٤٢ عن

توريد ادوات كهربائية وتطلب الشروط

منه نظير ١٠٠ مليون . ٩٤٢٦

من الأشياء والأشخاص نرى أنفسنا من كثير من المتاعب هنالك أمثلة كثيرة مما نحب متأثرين بالماضي الذي أحييناه وللتجارب السارة التي خلت فيه . فنحن نحب الربيع الذي وهبناه طفولتنا ومنحناه أيام صبا ، ونحب التزل الذي عرفناه وألفناه ، وقد تتطور بنا الحياة فننتقل إلى ربوع جديدة وديار جديدة هي أمثل وأكمل من تلك التي تركنا عليها أيام الشباب ، ولكننا نظل سحابة لأرق عواطف الحب والولاء لتلك الوطن الأول . لأننا نرى فيه ظل ذلك الصبا الذي خلغناه ، ولأنه يذكرنا بما كان لنا فيه من تجارب سارة . فكأنما نحن وإياه مزيج واحد كذلك نحن نحب رفيق صبا ، لأن لصحبته ارتباطاً بكثير من تجاربنا السارة للماضي ؛ فإذا نحن لازمناه بعد دور الشباب ، كانت ملازمته إياه عاملاً في بحث كثير من صور الماضي الذي خلا... تلك الصور التي أحييناها بتفلات الشباب وملأناها بمسراته... فإذا هي انبعثت — ولو في الذاكرة — من جديد ، كان في انبعثها إعادة لتلك الشعور الذي راققها أول مرة... وفي ذلك رجوع بالنفس إلى زمن الصبا عن طريق إثارة ماوعاء . ونحن نحب أيضاً قراءة الكتب التي سبق أن قرأناها في فجر حياتنا وفي أيام دراستنا ، لا لأنها من المني والبنى ما تستحق عليه الإعادة ، ولكن لأنها ترتبط في الذاكرة بسلسلة ما حدث لنا في شبابنا من الحوادث السارة ، بحيث يصح الادعاء بأننا قد ننسى لحظتنا الحاضرة لنعود إلى الماضي ونحيا فيه ، فنستمتع بذات اللذة التي تتمتعنا بها لأول مرة ، ونحيي نفس الشعور الذي أحييناه في ذلك الماضي البعيد

إن هذه الظاهرة النفسية — ولا ريب — تثبت لنا بقاء ما يحدث لنا في أيام الحياة ؛ فالتجربة لا تفي وإن تكن قد تنسى مهما قلقت عليها وطأة الزمن في روحه وغدواته ، وإنما تنزوي في ركن قصي من أركان باطن العقل ، حتى إذا حدث ما يرتبط وإياها برابط من التناظر ، تحركت وهي في قاع النفس ، وتمدت يدها إلى رفيقها الجديد ، فأوحت له بما عندها من معنى ، وأحدثت في نفس صاحبه ما تفرضه عليه من شعور خاص